دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

مظاهر "سيبة" قبيلة بني مسارة في منطقة وزان أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وردود فعل المخزن المغربي على ذلك

د. إبراهيم بل العافية
دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة عبد المالك السعدي – المملكة المغربية

مُلَخّص

ظل المخبرون الفرنسيون الذين زاروا قبيلة بني مسارة ومنطقة وزان أو كتبوا عنها إلى حدود توقيع معاهدة الحماية سنة ١٩١٢م، يدعون بأن علاقة قبيلة بني مسارة مع المخزن المغربي كانت دائمًا في توتر واصطدام. كما ألصقوا بالقبيلة صورة بلاد "السيبة" التي لا تنضبط، والرافضة دوما لسلطة المخزن مع اعترافها طبعا بسلطته الدينية. إلا أنها كانت ترفض الخضوع لحكمه، كما ترفض أداء أعشارها وضرائبها له، وأن فترات الهدنة واستجابة القبيلة لرغبات المخزن في أداء الضرائب أو البيعة الشرعية، لم تكن سوى ذريعة مؤقتة لكسب الوقت وتجنب غضب المخزن. وهذا أمر غير دقيق ونسبي إلى أبعد الحدود، فمهما بدا من كتابات الفرنسيين التي تدعي أن المخزن قد عانى الأمرين في محاولة إخضاع قبيلة بني مسارة أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، إلا أنه كما سنبين من خلال هذا العرض، أنه كانت للسلطان سلطات خاصة ووظائف مهمة تدفع القبيلة إلى احترامه، ودفع واجباتها الضريبية بكيفية منتظمة له. وعندما تدعو الحاجة الوطنية كانت القبيلة تقدم مساهمتها العسكرية عندما يداهم البلاد خطر ما، أو تلبي بعض رغبات المخزن غير المعلنة والمبطنة كهجومها ونهبها لشرفاء وزان الذين كانت بعض ممارساتهم كالاحتماء بالأجانب تثير غضبه. لقد كانت تجمع بين المخزن وبني مسارة في بعض اللحظات مصلحة مشتركة في ربط علاقات جيدة، خاصة أمام استفحال الحمايات القنصلية في صفوف الشرفاء والميسورين بالمنطقة.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٤ أبريل ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ٢٣ مايو ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

المخزن، السيبة، الحسن الأول، القواد، منطقة وزان.

معرّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/kan.2024.282832.1124

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

إبراهيم بل العافية، "مظاهر "سيبة" قبيلة بني مسارة في منطقة وزان أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وردود فعل المخزن المغربي على ذلك".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد الخامس والستون؛ سبتمبر ٢٠٢٤. ص ١٦٢ – ١٧٧.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: ibrahimbelafia9@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

لم تكن قبيلة بني مسارة، تحت النفوذ الفعلي للمخزن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلا نادرا، ولهذا كانت تدير شؤونها إضافة إلى ممثل المخزن بنظام "الجماعة"، هذا النظام كان يقوم على اختيار العقلاء من السكان إما علماء ورعين أو وجهاء عاقلين...[١]، لتسيير الأمور وإدارة الأوضاع، التي كانت تتم بتنسيق مع القائد ممثل السلطة الذي كان يريد فرض هيبة المخزن. ولم يكن السكان يرغبون في التخلي عن هذا النظام رغم الحرج الذي كان يضعهم فيه القواد الذين كانوا يطالبون الناس بالخضوع، والاعتراف قسرا بقوة المخزن، وأداء ما بذمتهم من أعشار وضرائب. كان السلطان ينأى بنفسه عن التدخل في مؤسسات القبيلة ومجالسها مادامت المشاكل تحل وتعفيه من عناء تولي الإدارة المباشرة، بالمقابل كانت القبيلة تريد من المخزن توفير سلطة تحل مشاكل الناس، وتحافظ على الأمن وتردع القواد المستبدين المشتطين، أما أحاديث الفوضى وعشق "السيبة" الدائمة كما يدعي الأجانب فقد كانت نسبية فقط، فسلطة المخزن دائمًا موجودة في شخص قواده الذين يمثلون السلطان، ويكرسون حضوره، لأن سلطته الحقيقية كانت مستمدة من السلطة التي يجسدها في نظر الناس باعتباره ممثلا للسلطان. إلا أن ظلم القواد وقسوتهم كانت تدفع القبيلة إلى "السيبة" فكانت تهجم عليهم وتطردهم من قيادتهم أو تقتلهم، وبذلك كان يضطر السلطان إلى القيام بحملات عسكرية لتأديب القبيلة على تمردها وطغيانها. فماهي إذن مظاهر وتجليات سيبة قبيلة بني مسارة على المخزن في منطقة وزان خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين؟ وما هي ردود فعل المخزن على ذلك؟ وما هي عواقب هذا التدخل على العلاقة بين الطرفين وعلى الأوضاع الأمنية في منطقة وزان خلال هذا العهد؟

أولاً: مظاهر سيبة بني مسارة في منطقة وزان أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

بعد طرد المساريين للقائد محمد بن محمد القيسي سنة ١٨٧٣م بقيت القبيلة بدون قائد لمدة سبع سنوات، وهو ما دفع بالمخزن إلى إرسال عدة حملات لتأديب القبيلة، وكان معظمها على يد قواد الغرب في سفيان[٢] وبني مالك[٣]، لأن بني مسارة والمنطقة كانت تابعة آنذاك لعمالة الغرب بدل العرائش كما كانت في السابق، وكانت تدار من قرية بن عودة شمال مدينة سوق الأربعاء الغرب الحالية، تحت قيادة القائد ابن عودة الجزائري الذي كلف قائد سفيان أبو بكر بن محمد الحباسي بتأديب ثوار القبيلة سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م. أمام صعوبة ضبط الأمور، سيعين السلطان هذا القائد عاملاً على القبيلة بعد حملة ١٨٨٠م، وبقي يدير أمورها سنة ١٨٨٧م، وفي سنة ١٨٨٨م قام السلطان الحسن الأول بتقسيم القبيلة على إيالتين، بعد أن كانت إيالة واحدة تحت نظر قائد واحد وهي:

- قيادة في الجهة الشمالية بزومي بقيادة ابن الشيخ السابق محمد بن محمد القيسي القطاري.
- قيادة في الجهة الجنوبية في بني مسارة السفلى بقيادة القائد الدريدي البوصروري انطلاقا من دوار المناصرة ببني كلة[٤].

وعلى الرغم من ذلك، سابت القبيلة على القائدين وقتلت القائد المعين على بني مسارة العليا ابن محمد القيسي (الابن)، الذي كان أشد ظلما من أبيه، فهاجمته القبيلة وطردته من قيادته[٥]، وفي الوقت نفسه قامت بني مسارة السفلى بالثورة على القائد الدريدي البوصروري وأبعدته عن عمله[٦]، لهذه الأسباب سيضطر السلطان الحسن الأول إلى النزول بنفسه في بني مسارة سنة ١٨٨٩م، لتأديب القبيلة على تمردها وطغيانها، لكنه بمجرد رحيله عادت القبيلة إلى سيبتها وعتوها من جديد، وثارت على القائدين، وهذا ما دفع المخزن إلى تجريد عدة حملات أهمها حملة العربي السوسي سنة ١٨٩٣م، وحملة عبد السلام الأمراني سنة ١٩٠٢م لتأديبها على ما اقترفته من جرائم. لقد كان لتعيين قائد القبيلة من طرف المخزن تأثير سياسي في الوسط القبلي، فبني مسارة أنفسهم لم يكونوا يعترفون بسلطة أي قائد، إلا إذا جاءه التعيين من السلطة المركزية، لكن السلطة والنفوذ الذي كان يستطيع أن يمارسه القائد لم يكن يتوقف على بركة المخزن، بل

بالطبع على كفاءته في القيادة، ولهذا السبب اتبع كل قائد سياسته الخاصة التي تسمح بنجاحه في مهمته، كالتعاطف مع أوضاع القبيلة المتأزمة، كما فعل الشيخ الحمرني عندما رفض جمع ضرائبها[٧]، أو بالاعتماد على الجواسيس والاحتماء بعصبيته العائلية في قمع الناس والسيطرة عليهم، كما فعل القائد بن محمد القيسي.

كما كان المخزن يعتمد في ضبط القبيلة على الشرفاء سواء من داخلها[٨]، أو من خارجها كشرفاء وزان وشرفاء أولاد البقال بقبيلة غزاوة، وكذلك على تدخل الأولياء والصلحاء ذوي الشهرة الدينية، والذين كان لهم تأثير قوي جدا على الناس[٩]. كما عزز المخزن في عهد السلطان الحسن الأول سلطانه على القبيلة بتقسيمها وتعويض قائد واحد بقائدين أو أكثر، وفي حالة استعصاء الأمر كان يتدخل السلطان شخصيا لحسم المسألة، لأن المخزن كان يريد إسكات الجبهة الداخلية للبلاد حتى يتفرغ للضغوط الأوربية التي كانت تنخر سلطته. أما بالنسبة لبني مسارة، فقد كانت تؤدي واجباتها إلى المخزن كاملة شريطة وفرة الإنتاج، وتقدم مساهماتها العسكرية إن داهم الوطن خطر ما، فمثلا خلال حرب تطوان شاركت بني مسارة بفرقة عسكرية معتبرة[١٠]، وكانت القبيلة في حالة توتر علاقتها بالمخزن تحاول تجنب غضبه برفع الشكايات إليه، واللجوء إلى عطفه وعفوه إن سرح إليها الحملات القمعية وإلقاء القبض على رجالها[١١]، كما كان المخزن يعتمد في فرض تأثيره العسكري من حين لآخر في منطقة وزان، بالاستعانة بخدمات بني مسارة التي كانت تقف دائمًا بجانبه، من نماذج ذلك، المساعدة في القبض على الثوار كالثائر "بوحمارة" في ضريح مولاي عمران، وضرب بعض القبائل العاصية كما حدث لقبيلة سطة[١٢].

يقول البكاري في هذا الشأن:" كما أخمدت القبيلة ثورة بوحمارة أخمدت ثورة الروكي... ومدت يد المساعدة للحكومة الشرعية وساعدتها في القضاء على الفتن وحركة التخريب التي كانت المناطق الجبلية مسرحا لها خلال فترة طويلة من الزمن. وبذلك تكون بني مسارة هي الصخرة التي تكسرت عليها حركات التخريب أثناء ضعف الحكومة الشرعية بالمغرب عبر عصورها رغم ما اتسمت به من الفوضى والاستهتار والسطو والنهب على أمتعة الجيران"[١٣]. بصفة عامة، كانت أهداف المخزن هي الاحتفاظ على الأقل بسلطته الشكلية على منطقة وزان، موطن القبائل الجبلية الصعبة المراس، ومنع أي انقطاع طويل الأمد لسلطته على جزء من رعيته، أما فيما يخص مسألة رفض المساريين دفع المال للمخزن فلم تكن شائعة على الدوام، بل كانت فقط خلال السنوات العجاف وبعد تقديم التماس بالعفو أو التأجيل[١٤]. إننا لا نبرر أفعال القبيلة، بل نحاول فقط أن نحدد المسؤوليات التي أغفلتها المصادر المغربية التقليدية والكتابات الأجنبية، التي تحمل المسؤولية كاملة للمساريين الذين كانوا يثيرون بشكل دوري القلاقل بمنطقة وزان، ويشيعون الفوضى والاضطراب بها، بالهجومات المتكررة على القبائل وعلى مدينة وزان وعلى بسائط الغرب واللكوس، مستفيدين من ضعف المخزن المركزي والمحلي، فينهبون جيرانهم ويمارسون سطوتهم عليهم.

كانت "سيبة" أو "تمرد" قبيلة بني مسارة يتميز بالعنف والقسوة، إذ كان المساريون يهجمون على وزان وعلى القبائل المجاورة لهم، خاصة على قبائل مصمودة وبني مزجلدة ورهونة... ناشرين للعنف والفوضى، ومن بين الأفعال المنسوبة إليهم في المراسلات المخزنية الدخول إلى الزاوية واختراق حرم مولاي عبد الله الشريف[١٥]، يذكر لوشاتلييه (Le Chatelier) أنهم احتلوا مدينة وزان سنة ١٨٨٥م لمدة ستة أشهر، حيث نشروا الفساد ومارسوا النهب وسبوا الفتيان والفتيات لبيعهم في الأسواق، وقد تساوى عندهم الشريف والعامي، ولم يسلم من أفعالهم ضريح مولاي عبد الله الشريف الذي سرقوا كسوته"[١٦]. هذا الكلام مطابق تماما لما جاء به المشرفي تعليقًا على الرحلة المخزنية الخامسة عشرة إلى شمال المغرب في صيف سنة ١٨٨٩ حيث قال:" وكان قصده الفتك ببني مسارة لما اشتهروا به من نهب الركبان وقطع الطريق على المار لمدينة وازان، وهتك حرمة الحريم"[١٧]، ويؤكد هذا الكلام كذلك المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان معلقا على نفس الرحلة، "ووجه حركة أخرى ـ الحسن الأول ـ لقبيلة مستارة لتسكين الروعة التي قامت بها، والضرب على أيدي الناهبين

وقطاع الطريق على المارة لوزان ولا يعظمون حرم مولاي عبد الله"[١٨]. كما جددت القبيلة غاراتها على القبائل المجاورة من أهمها؛ بني مزجلدة، ومصمودة، ورهونة، خاصة بعد تحالف القبيلة مع غزاوة، يقول السلطان الحسن الأول في هذا الشأن: "بني مسارة وغزاوة غاروا على رهونة وحرقوا مداشر زاعمين أن لهم حقوقا عليهم، إلا مداشر أربعة تركوها بلا حرق"[١٩].

ثانيًا: ردود فعل المخزن الأولية على "سيبة" بني مسارة

كان لأفعال بني مسارة عواقب وخيمة عليها وعلى منطقة وزان بشكل عام، حيث تكررت الشكاوى إلى السلطان رمز البركة والسلطة العليا، وعجز الشرفاء الوزانيون عن ضمان أمن مدينتهم وممارسة دور التحكيم بين القبيلة وجيرانها[٢٠]، واستعمل السلطان كل الوسائل لردع المساريين عن تمردهم وطيشهم وإعادتهم إلى الجادة والصواب، في إطار دوره التحكيمي بين كل عناصر المجتمع، وكان تدخل السلطان يتم بطريقتين:

٢/١-توجيه رسائل النصح والتأنيب وإرسال المبعوثين

وجه المخزن رسائل عدة إلى قواد بني مسارة والى أشرافها وأعيانها يطالبهم بالكف عن الاعتداء على الناس وعلى الشرفاء واحترام الأولياء، خصوصا ضريح مولاي عبد الله الشريف. يقول السلطان الحسن الأول في هذا الشأن:" وأما الخديم المساري، فقد كتبنا له باللوم على ذلك وحذرناه عاقبة شؤم ما هنالك"[٢١]. وفي رسالة من الصدر الأعظم الوزير باحماد إلى الحاج محمد الطريس:" وأنهينا ذالك لمولانا أيده فاستقبح أفعالهم وكتب لهم أعزه الله بما يحملهم على الاستقامة والإقلاع عن ذالك والجلوس عند الحد وكتب لعاملهم بحضهم على التنفيذ".[٢٢] وجاء في رسالة أخرى من الصدر الأعظم الوزير باحماد إلى الحاج محمد الطريس:" ولم يبق إلا ما في بني مستارة من الطيش الذي صار بها وهم يتحدثون بسبب بالهجوم على القصر[القصر الكبير]... وعن بني مستارة، فإنه أعزه الله كان كتب لهم قبل صحبة الكاتب السيد أحمد الكردودي بما يحملهم على الكف والجلوس عند الحد، بعد أن أمر الكاتب المذكور بالبحث عن أحوالهم فيما تشوفوا له، وقد جرد الأمر الشريف لعامل الخلط والطليق برد البال للقصر.."[٢٣].

٢/٢-الاعتماد على وساطة الأشراف والأولياء

بسبب ضعف المخزن المحلي وصعوبة استعمال القوة دائمًا ضد القبيلة بسبب عوامل طبيعية متمثلة في صعوبة التضاريس، وأخرى سياسية ارتبطت بالظروف العامة التي كانت تعيشها البلاد، لجأ المخزن إلى الاستعانة بأدوار الوسطاء من الأشراف والأولياء الذين كانت لهم مكانة خاصة وكلمة نافذة على الناس، ومن أهمهم الشرفاء الوزانيون الذين كان ينظر إليهم كمصلحين بحكم شرفهم، وانتسابهم للدوحة النبوية الشريفة، والذين لعبوا دورا مهما في إشاعة السلام بين الناس، وتهدئة القبائل والمحافظة على السلم والأمن بها، وإقامة التوازن بينها، دفع كما رأينا سابقا السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى تعيين الشيخ سيدي علي بن أحمد الوزاني خليفة له بالشمال الغربي بقوله:" نحب من سيدي علي بحق مولانا عبد الله الشريف أن تكون حاجزا بيني وبينهم في جميع أمورهم"[٢٤]، كما كان الشرفاء يقومون بتدعيم المخزن المحلي وتثبيت سلطته أثناء تمرد القبيلة على القائد، أو العامل وفرض احترام السلطة المخزنية وترسيخ طاعة من يعينهم السلطان. وفي هذا الصدد كتب السلطان مولاي الحسن الأول إلى الشريف سيدي محمد بن المكي مقدم الشرفاء بوزان آمرا إياه بمساعدة قائد بني مسارة السفلى محمد بن العربي الكلي بعد عزله: "المحب مقدم الزاوية الوزانية السيد محمد بن المكي، فنأمرك أن تشد عضد قائدنا محمد بن العربي المستاري الكلي على فساد إيالة إخوانه بالقبض عليهم في أسواق إيالتك وتكون

معه عليهم يدا واحدة حتى يرجعوا للجادة"[٢٥].

مقابل هذه الأدوار كانوا يحظون بكل أنواع التقدير والتبجيل والاحترام... لكن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تراجعت أدوار الوزانيين بسبب تصرفات شيوخ الوقت الخاطئة التي أفقدتهم الكثير من التقدير والاحترام، لأنهم حادوا عن جادة الشرفاء الأولين، وانحرفوا في ممارستهم نحو اللهو والبحث عن مفاتن الدنيا، بل وصل الأمر إلى طلب الحماية الأجنبية،

وفي بعض الفترات أصبحوا يبادلون بني مسارة العنف بالعنف ونشر الفوضى، فتحولوا من عامل استقرار إلى طرف في الفتنة والاضطراب، لهذا لجأ السلطان إلى وساطة الشرفاء البقاليين الغزاويين الذين كانوا يحظون باحترام وتقدير خاص لدى المساريين، وإلى دور بعض الأولياء المبجلين لمصالحة القبيلة مع جيرانها، كالولي سيدي العربي الخيصي الذي حاول سنة ١٣٠٠هـ مصالحة القبيلة مع جيرانها[٢٦].

٣/٢-الإصلاح الإداري بتقسيم القبيلة على قسمين

بهدف تحصين البلاد ومواجهة الضغوط الأوربية، وتكثيف حضوره بين القبائل وإخضاعها لحكمه المباشر، قام المخزن بإجراء إصلاح إداري عن طريق توزيع القيادات الكبرى إلى قيادات صغرى، فمن ١٨ إيالة في بداية عهد الحسن الأول إلى ٣٣٠ قيادة سنة ١٨٨٨م [٢٧]، فعلى سبيل المثال كانت بني مسارة على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى نظر قائد واحد، وهو القائد محمد بن امحمد فتحا القيسي القطاري، بينما أصبحت في عهد الحسن الأول يتوزع حكمها قائدان: محمد بن محمد القيسي (الابن) بزومي في بني مسارة العليا، والدريدي البوصروري في المناصرة ببني مسارة السفلى، سابت القبيلة على القائدين وطردتهما وجعلت مكانهما عاملين آخرين... والجدير بالذكر أن المخزن كان يروم بهذا التقسيم إلى إضعاف قبضة القواد على القبيلة، وتجنب الخوف من تفكيرهم في التمرد، كما حدث مع القائد المستبد القيسي القطاري المساري[٢٨]، أضف إلى ذلك إحكام قبضة المخزن على السكان، وتجميع الجبايات بسهولة لمواجهة المتاعب الجديدة التي أصبح يواجهها بيت المال[٢٩].

أما من جهة القبيلة، فهي لم تكن تستهين باختيار السلطان للشخص المعين، بل كانت تقبله وترحب به، لكن في حالة استشاطته وظهور تعسفه على الناس، كانت القبيلة ترسل إلى المخزن وفودا للاحتجاج على تصرفاته، وبعد رفض أو تلكؤ السلطان في الاستجابة إلى مطلبهم في عزله أو معاقبته، يتغير موقف الناس من سلطته، ويأخذون الثأر بأنفسهم، وأحسن مثال يمكن أن نسوقه في هذا الشأن ما وقع للقائد محمد بن امحمد القيسي في ولايته الأولى سنة ١٨٤٨ عندما قام المخزن بسجنه، وإسقاط ولايته استجابة لرغبة السكان في التخلص من حكمه المستبد، لكن الأمر اختلف في ولايته الثانية التي كانت أكثر استبدادا وبطشا ولم يكن يخدم إلا مصلحته، حيث رفض المخزن الاستجابة لرغبات السكان في التخلص منه، ولما لم يتدخل ثاروا عليه سنة ١٨٧٣ وتخلصوا من شره[٣٠]. كان أمل المخزن في تقسيم القبيلة على قيادتين، قيادة في بني مسارة العليا وأخرى في بني مسارة السفلى هو ضمان الأمن بالمنطقة والحصول على اعتراف الناس بسلطته الحقيقية على القبيلة والمنطقة، كأن تمر كل مشاكل الحدود بين القبائل عبر ممثليه عوض أن يتكلف بها ثوار القبيلة، إضافة إلى إلزام الناس بالهدوء والابتعاد عن النشاط الإجرامي ونشر الفوضى داخل المنطقة، يقول السلطان الحسن الأول جوابا على طلب العفو الذي قدمه له المساريون لما حل بأرضهم سنة ١٨٨٩: " إن التوبة يا بني مسارة لها شروط، منها أن ترد المظالم إلى أهلها وأنتم تظلمون الناس، وتأخذون أموالهم وتعتدون عليهم"[٣١].

كما تمثل دور القائد في التحدث باسم السلطان لحل مشاكل الحدود مع الجيران، وتمثيل سلطته الرمزية الشريفة على المنطقة، وكان للقائد وخلفائه مهام متنوعة، وكيف ما كانت الفائدة التي قدمها هؤلاء للمخزن في القبيلة، فإن معظم السكان في بني مسارة كانوا ينظرون إليهم باعتبارهم أدوات لتدخل المخزن وفرض الضرائب، بالمقابل كانوا يدركون بأن حياتهم لا يمكن أن تستقيم بدون وجود هؤلاء، لأنهم كانوا يؤثرون بشكل أو بآخر في مجرى العلاقات داخل القبيلة وخارجها، يقول البكاري تعليقا على أفعال قائد بني مسارة القائد بن امحمد القيسي:" ومما يثير الانتباه في هذا الشيخ أثناء حكمه للمنطقة أنه علم قبيلة بني مسارة الإغارة على جيرانها من القبائل التي تحيط بها، فعاشت المنطقة حقبة من الزمن في فوضى واضطرابات عمت كل أرجاء الريف الغربية، وقد تفاقم الوضع بشكل هائل بعد هروب الشيخ إلى مدينة فاس تاركا وراءه حالة من الفوضى[٣٢]، كانت وبالا على أعوانه الذين تركهم حطابا للبندقية والسلاح"[٣٣].

تأكيدًا على أهمية سلطة القائد في حياة القبيلة، انقسم أفراد وفرق القبيلة حول بقائه من عدمه، فبينما كان جزء من فرقة أو عدة فرق يعاملون القائد بجفاء، وجدت في ذلك فرق أخرى سببا ليكونوا معه أكثر توددا، ومثال ذلك قضية فرقة أولاد جنون الذين عاملوا القائد الدريدي البوصروري بجفاء وقسوة، أدت إلى مقتله، وإحراق داره ومقر قيادته بدوار المناصرة، بالمقابل كانت فرقة بني كلة تحالفه وتميل إليه لأنه منهم، ونفس الأمر وقع مع القائد أبو الشتاء بن الهاشمي الحجري الذي عينه المولى عبد الحفيظ سنة ١٩١٢، والذي عادته فرقة أولاد كنون الذين قتلوه، بالمقابل حالفته فرقتا حجر بني يعيش وبني كلة[٣٤]، بصفة عامة فعلاقة بني مسارة بالمخزن قد اتخذت شكلين أو طريقتين بارزتين:

- التمرد والعصيان كلما رام المخزن المحلي الاستبداد والتسلط على أرزاق الناس وقوتهم المعيشي إلى درجة التمرد ورفض السلطة، وبقتل قادته المحليين والمواجهة المباشرة مع السلطان نفسه في عدة مناسبات.

- الاعتراف بسلطة السلطان الروحية دون الزمنية، حيث كانت ترسل وفودها خاصة الأشراف في أوقات متعددة إلى العاصمة لتقديم البيعة للسلطان الجديد[٣٥]، أو خلال عيد الأضحى، حيث يقدمون له تهانيهم وهداياهم وهباتهم وزكاتهم، باعتباره أميرا للمؤمنين وقائدا روحيا، وإن حل بأرضهم يبجلونه ويعظمونه ويقدمون له الاحترام الكامل[٣٦]. وبخصوص الضرائب، لم تكن القبيلة تجمعها أو تؤديها بشكل منتظم والتي كان على قواده أن يجتهدوا في جمعها، وهذا ما كان يؤدي إلى المواجهة مع السكان، إن رام هؤلاء القواد أخذها بالقوة.

ثالثًا: مواجهة المخزن عسكريًا لـ"سيبة" بني مسارة (١٨٧٣ - ١٩١٢)

لقد كانت علاقة بني مسارة مع المخزن عبر التاريخ متذبذبة، تارة متوترة وعكرة، وتارة أخرى جيدة ومتينة، وكانت بني مسارة تعترف دائمًا بسيادة المخزن، لكنها لم تكن تخضع لسلطته إلا نادرًا، وقد قضى المخزن في عهد السلطان المولى الحسن الأول الجزء الأكبر من مدة حكمه في تهدئة القبائل والقضاء على التمردات والانشقاقات القبلية بالمغرب، وكان من نصيب بني مسارة في الفترة الممتدة من سنة ١٨٨٠م إلى سنة ١٨٩٣م، ثلاث محلات قادها قادة مخزنيون، وحركة سلطانية قادها السلطان بنفسه، وفي عهد المولى عبد العزيز قاد قائده وابن عمه عبد السلام الأمراني حملة خطيرة على القبيلة سنة ١٩٠٢م.

١/٣-مواجهة السلطان الحسن الأول للتمرد الأول لبني مسارة (١٨٧٣ ـ ١٨٨٠)

بعد طرد القائد محمد بن محمد القيسي سنة ١٨٧٣م بقيت بني مسارة بدون حاكم، تعيش في شبه فوضى وتسيب على جيرانها، في سنة ١٨٨٠م تغير فجأة موقف اللامبالاة الذي كان يتبعه المخزن مع بني مسارة التي بقيت بدون قائد لمدة سبع سنوات بعد طرد القائد القيسي، لما قرر السلطان الحسن الأول مواجهة هذا التمرد الذي بدأ يتدحرج نحو تهديد العرش، حينما بعث بحركة إلى القبيلة سنة سنة ١٨٨٠م بقيادة أبو بكر الحباسي الغرباوي لحصر طغيان القبيلة وتمردها[٣٧]، لكنه فشل في مهمته لأن بني مسارة سرعان ما عادت إلى العصيان، وقد اشتد تمردها أكثر خاصة بعد تحالفها مع قبيلتي رهونة وغزاوة، حيث أحدثوا انتفاضة كبيرة بمنطقة وزان، ولم ينحصر تمردهم بالاحتجاج على فرض الضرائب، بل انتقلوا إلى الثورة والعدوان على السلطان نفسه، وعينت بني مسارة زعيما لها يلقب ببوقبة لضخامة رأسه، وسلمته الشعار الشريف المتمثل في المظل الذي يرمز في المغرب إلى أعلى سلطة، نزلت هذه القبائل من الجبال وتجمعوا حول وزان، وهددوا شرفائها وسكانها وطالبوهم بالانضمام لهم، وإلا تعرضوا للهجوم والنهب، فأرسل المخزن قوات على التو بقيادة مبارك بن سحلن[٣٨] لمواجهة الخطر الداهم الذي إن نجح سيهدد عرشه لا محالة[٣٩].

تمكن قائد المخزن مبارك بن سحلن من هزم المتمردين والقبض على زعيمهم بوقبة، إضافة إلى وضع ٢٣ من رؤوس المتمردين في الملح وإرسالها إلى فاس، حيث علقت على أحد أبوابها، أما بوقبة فإنه أفلح في الهروب من سجانيه بواسطة حيلة ذكية سنسردها، كما جاءت في رسالة السفير الفرسي بطنجة:" حين وجد زعيم المتمردين هذا نفسه محاصرا أقنع محاصريه من

الجنود، بأنه ليس بوقبة، ثم دلهم على شريف يقف غير بعيد عنه، رأسه هو الآخر كبير، وأكد لهم أنه هو الثائر الراغب في الوصول إلى عرش المغرب الذي يبحثون عنه، وبسذاجة صدق الجنود القصة وأطلقوا سراح بوقبة قبل أن ينقضوا على الشريف، الذي اقتيد إلى حيث يوجد القائد وقطعت رأسه في الحين، وبعد وقت قصير من ذلك تحقق مبارك بن سحلن[٤٠] من الخطأ الذي ارتكبه رجاله، فغضب بشدة لفداحة صنيعهم وأمر بضربهم بعد أن كبلهم"[٤١].

يبدو أن الخطأ الذي ارتكبه جنود القائد المخزني كان قاتلا، حيث تمكنت بني مسارة من استجماع قواها من جديد، ودخلت مرة أخرى في مواجهات مع جيوش السلطان وكان النصر هذه المرة حليفها، وأشار السفير الفرنسي أن ضحايا المواجهات بلغت من القتلى في الطرفين ٢٥٠ قتيلاً من بينهم ٥ ضباط سامين من الجيش النظامي أربعة منهم برتبة تقابل رتبة كولونيل، وخامسهم تعادل رتبته رتبة جنرال[٤٢]. وعلى الرغم من القمع الذي كانت تتعرض له القبيلة من طرف قادة المخزن، إلا أنها كانت تستجمع قواها وتجدد من تمردها وعصيانها كل مرة، وهو ما دفع السلطان إلى إرسال حركتين أخريتين سنة ١٨٨٢-١٨٨٣م بقيادة قائد الغرب بن عودة الجزائري ثم القائد أبو بكر الحباسي الغرباوي[٤٣]، وقد تمكنت بني مسارة من القضاء على الحملة الأولى[٤٤] والفشل في الحملة الثانية.

للقضاء على فساد القبيلة، قام المخزن بإلحاقها إداريًا بعمالة الغرب بقيادة القائد أبو بكر الحباسي الغرباوي الذي بقي في حكمه عليها إلى سنة ١٨٨٧م، ولمساعدته في إدارة شؤون القبيلة عين السلطان سنة ١٨٨٤م القائد الدريدي البوصروري في بني مسارة السفلى المعروفة بلوطة، أما في بني مسارة العليا (جبالة) فخلع القائد الذي عينه السكان السيد الهاشمي المرابط وعين بدله القائد محمد العربي الرضواني المثيوي، وعلى الرغم من ذلك جددت القبيلة ثورتها، وعزلت القائدين وعينت مكانهما قائدين آخرين[٤٥]، وهو ما أرغم المخزن على القيام بحملة تأديبية بنفسه، قادها السلطان المولى الحسن الأول سنة ١٨٨٩م في إطار الرحلة التي كان يقودها نحو الشمال، وكان هدفها الاتصال المباشر مع القبائل، وفرض قدر من القانون والنظام عليها، إضافة إلى إظهار قوة المخزن، وأن سلطته تصل إلى كل الأماكن، ولما كانت بني مسارة مصدر الشغب بمنطقة وزان، لأنها تتميز عن باقي قبائل المنطقة حيث كانت مرتعا للتآمر والاضطراب، فهي القبيلة الأكبر والأكثر تسليحًا ويجب كبح جماحها.

كان السلطان على رأس حركة عسكرية قوية، نزل في خولان بأعلى القبيلة وأنزل جيوشه بقيادة قائده محمد الشركي ببونيزر في وسط القبيلة لمداهمة المتمردين[٤٦]، وأطلق يد الجيش تقتيلا ونهبا وترهيبا[٤٧]، ومن المؤسف أننا لم نتمكن من معرفة التفاصيل الدقيقة حول قوام المحلة المخزنية ومن تقدير جموع بني مسارة وقادتهم، ومن المؤكد هو أن الجمعان التقيا في بونيزر قرب قاعدة القبيلة بمركز زومي، حيث دارت بينهما مواجهة عنيفة كانت لصالح الجيش المخزني الذي شتت جموع القبيلة. وما يلاحظ على عمل السلطان في هذه الحملة، أنه لم يبادر إلى مغادرة القبيلة مباشرة بعد تأديب المتمردين ومعاقبتهم، بل طاولهم وأثقل عليهم وظلت حركته جاثية عليهم بكلكلها من أجل تأديبهم واستئصال شأفتهم، حيث أدى شريعة عيد الأضحى بالقبيلة [٤٨]، إذ تصبح ملزمة بأداء مؤونة الجيش وشروط الضيافة من علف للدواب وطعام للجنود، إضافة إلى الهدايا التي يجب أن تقدم إلى السلطان ومرافقيه، وهذه كلها مصاريف ثقيلة جدا على القبيلة، خاصة إذا علمنا قوام الحملة المخزنية من جنود ودواب وخدم، والتي بدون شك كبيرة جدا، نظرا للمهام التي أنيطت بها من معاقبة للقبائل الثائرة، وطول الرحلة التي تشمل الشمال الغربي بكامله.

إن التكلف بإعالة هذا الجيش العرمرم تتطلب مصاريف ثقيلة على سكان بسطاء لا يجدون ما يسدون به رمقهم، وهذه وسيلة أخرى لمعاقبة الثوار، ويعتبر استقرار السلطان لمدة طويلة بقبيلة معينة وسيلة فعالة من وسائل التأديب، وهذا ما حدث مع بني مسارة سنة ١٨٨٩، حيث اضطر جيش السلطان للإقامة من ٢ إلى ٢٤ غشت أي مدة ٢٢ يوما لإخضاعها[٤٩]، وهي مدة طويلة كافية لإخضاع أي قبيلة مهما كانت قوتها، حيث كان المخزن يتعمد المكوث طويلاً في أراضي القبائل الثائرة، إذ كان يجبرها على أداء مؤونة الجيش كاملة من

طعام للجنود وكلأ لدوابهم، وهي وسيلة فعالة لإفقار هذه القبائل وإجبارها على الطاعة، يقول لويس أرنو على لسان شاهده سالم العبدي الذي شارك في حملة للمولى عبد العزيز في منطقة واد زم وتادلة سنة ١٨٩٧"... وكان مختلف قواد الطوابير يقولون للانفصاليين المنشقين: استسلموا وأدوا مستحقاتكم من الضرائب، وحينئذ سنغادركم، أما إن رفضتم فإننا سنظل بأراضيكم، وستكونون مرغمين على مؤونتنا، وتغذيتنا إلى أن تفتقروا وتصبحوا أعرى من كأس كما يقال"[٥٠].

اكتفى السلطان بفرض الغرامات الثقيلة على السكان، حيث رابطت محلته في بونيزر تؤدب وتغرم حتى أرغمهم على الإذعان والخضوع، لجعلهم يقررون دفع مؤخر ضرائب طويل، يقول المشرفي: "ووظف عليهم وظائف أدوا بها التبعات وما عليهم من دين الزكاة"[٥١]، ورغم ذلك لم يعزم المساريون على فعل ذلك إلا بعد مساومات طوال، وبعد أن استنفدوا مع السلطان نفسه كل وسائل التسويف[٥٢]. وبعد التأديب تقدم أعيان القبيلة بطلب العفو والشفعة لدى الحضرة الشريفة، حيث تقدم الجميع شيوخا وأعيانا وعامة إلى خيمة السلطان، وأقاموا عروضًا موسيقية أمام خيمته وكان يتقدمهم مقدم الطلبة محمد بن أحمد القشودي[٥٣]، يقول البكاري في هذا الشأن"...فتقدم إليه الطلبة ومقدمهم وأعيانهم وغياطتهم وطبالتهم الماهرون...وصدحت الغيطة وطبلت الطبول ساعات، ثم سكتت واصطف الحاضرون وانحنوا أمام المولى الحسن الأول طالبين منه العفو والصفح، وأعلنوا توبتهم وأنهم طائعون لله ولرسوله ولأمير المؤمنين ...فرد عليهم بقوله:" إن التوبة يا بني مسارة لها شروط منها أن ترد المظالم إلى أهلها، وأنتم تظلمون الناس وتأخذون أموالهم وتعتدون عليهم..."[٥٤]، ويلاحظ أن السلطان لم ينفذ عقوبة شديدة على المساريين على شاكلة ما كان ينزله أسلافه من العقاب والعذاب على القبائل المتمردة، وخاصةً الطرد والتغريب عن بلادها، ولما كان يضمره هو نفسه ضدها. وهذا ما أشار إليه المشرفي بقوله: "كان قصده الفتك ببني مسارة، لما اشتهروا به من نهب الركبان وقطع الطريق على المار لمدينة وزان"[٥٥].

لقد كشف تعامل مولاي الحسن الأول مع بني مسارة عن ضعف المخزن في منطقة جبالة، وعن مرونة واضحة عندما لم يعاقبها بعد قمع الثوار والسيطرة على الناس، وربما كان هدف السلطان في الظاهر هو تهدئة الأمور واتخاذ موقف مصالحة القبيلة مع جيرانها باعتباره الحكم الأعلى، مفضلا نهج المصالحة والتعاون على أسلوب القمع والاضطهاد، لقد قضى السلطان معظم وقته في استقبال الوفود من أعيان القبيلة، والقبائل المجاورة والاستماع إلى الشكاوي والمطالب والتحكيم في النزاعات.

٢/٣-مواجهة السلطان الحسن الأول للتمرد الثاني لبني مسارة (١٨٨٩ ـ ١٨٩٣م)

كانت قضية "السيبة" في بني مسارة في هاته المرحلة قد بلغت مستوى من الخطورة لتدفع بغضب المخزن إلى مداه، وسبق أن رأينا كيف حاول السلطان الحسن الأول ردع طغيان القبيلة وفسادها، وردها إلى الجادة بالتهديد والوعيد، وأحيانا بتجريد حملات عسكرية لردعها وإجبارها على دفع مؤخر الزكاة الذي كانت ترفض أداءها[٥٦]، لكن في نهاية المطاف تعود الحملات العسكرية أدراجها، ويعود سياب القبيلة إلى نشاطاتهم المعهودة من جديد، واستغلال أتفه الأسباب في ذلك، فأي حادث مهما كانت تفاهته أو بساطته كنزاع شخصي بين مساري ووزاني، أو مساري مع أي شخص من القبائل المجاورة... كان يشكل بحكم الجهل والتعصب المستشري في المجتمع آنذاك، نقطة انطلاق لصراع مسلح وحرب طاحنة تكون فيها الغلبة دائمًا للمساريين لأنهم الأكثر عددا وبسالة وانسجاما من غيرها من القبائل الأخرى أناسها لا يقهرون[٥٧].

لقد شغل السلطان جزءا من وقته في الفصل في النزاعات لتحقيق قدر من الاستقرار، لكنه لم ينجح إلا مؤقتا، فالصراع بين القبيلة وجيرانها من بني مزجلدة ومصمودة... صراع أزلي متواصل ولا يفتر إلا لماما[٥٨]، وقد فوض السلطان الحسن الأول أمر معالجة فتنة بني مسارة إلى قائده العربي السوسي وذلك في صيف سنة ١٨٩٣م[٥٩]، والذي قاد حملة عسكرية لتأديب القبيلة وإجبارها على تنفيذ الأوامر المخزنية وأداء الضرائب والديوان، ويبدو أن القائد المخزني قد اعتبر دخوله إلى

بني مسارة دخول عنوة بسبب ما سلف منهم من عصيان وعتو، لذلك صير أموالها فيئا بين جيوشه، يقول الأستاذ محمد عمراني في هذا الشأن " ..وهذه ألزم القبيلة بأداء السخرة للجيش وقدرها مائة وخمسة ريال القائد الرحى وكل من معه من قواد المئين خمسة عشر ريالا للواحد ولكل مقام سبعة ريال وكل مخازني ثلاثة ريال..."[٦٠]، وإذا كانت بني مسارة قد وافقت على مصالحة جيرانها، وعلى عدم إثارة الاضطرابات في حضرة السلطان الحسن الأول النازل بترابها كما رأينا، إلا أن العناصر الثائرة في القبيلة لم تتخل نهائيا عن نهجها المعهود، فبمجرد مغادرة السلطان عادت إلى سابق عهدها بالضغط على مدينة وزان، وعلى القبائل المجاورة، حيث ثارت من جديد، وعادت إلى أفعالها بإحداث الفوضى والاضطرابات... وجر إخوانها الآخرين المعتدلين والمسالمين إلى الحرب والانتقام عن طريق منظومة التضامن التي كانت تطبع المجتمع المحلي آنذاك، حيث أصبحت هذه الأفعال عادة من الحياة اليومية.

بل إن أحد زعماء التمرد في القبيلة المدعو المرابط المستاري تحالف وجر إليه حتى العناصر الثائرة من القبائل المجاورة من غزاوة، وبني مزجلدة، وسطة، وبني يحمد، وقادهم في هجوماته على وزان ورهونة ومصمودة، جاء في رسالة من السلطان الحسن الأول إلى شريف وزان سيدي العربي بن الحاج عبد السلام الوزاني في هذا الشأن: "وبعد وصل كتابك معلما بأن الصلح الذي وقع بين ءال وزان، وبني مستارة الشامل لقبيلتي رهونة ومصمودة وأمضيناه. وألقى كل فريق السلاح عملا بمقتضاه حيث نهضنا للحركة الميمونة رام الخديم المرابط المساري نقض ذلك الصلح، بجمع الحركة من فساد غزاوة وبني مزجلدة وسطة وبني يحمد وغيرهم، ممن سعى في الأرض الفساد وعزمه على ضرب رهونة ومنهم إلى مصمودة حتى [...] في جميع ذلك البلاد"[٦١].

٣/٣-مواجهة المولى عبد العزيز للتمرد الثالث لبني مسارة (١٨٩٤ ـ ١٩٠٨م)

على الرغم من الخسائر التي تكبدتها القبيلة، وما أنزل بها السلطان الحسن الأول وقواده من بعده من تقتيل وغرامات ومصادرات... فإن المخزن لم يستطع تكسير شوكة القبيلة، وتمهيدها للانضباط، حيث عادت إلى أفعالها السابقة بتهديد جيرانها وقطع السبل على الناس في الطرقات ونهبهم. جاء في رسالة من المولى عبد العزيز إلى الحاج محمد الطريس في هذا الشأن:"... بأن بني مستارة أخذوا لأصحاب السيد محمد بن عبد السلام الوزاني في طريق توجههم للشاون ست عشرة بهيمة وحوايجهم ودراهم كانت معهم، كما أخذوا للأخوين السيد علي والسيد أحمد من عزيبهما المعروف بالمرابيح مائة وستة وستين رأسا من البقر ظلما وتعديا"[٦٢]. لقد استفحل تمرد بني مسارة، وأصبح ثوارها يتشوفون للهجوم على مناطق أبعد من مناطق وزان في سهل الغرب وفي القصر الكبير. وهذا ما توضحه رسالة من الوزير باحماد إلى الحاج محمد الطريس: "ولم يبق إلا ما في بني مستارة من الطيش الذي صار بها وهم يتحدثون بسبب بالهجوم على القصر [مدينة القصر الكبير]، وعلمنا ما أثرت به منهم وأنهيناه لسيدنا أيده الله... وعن بني مستارة فإنه أعزه الله كان كتب لهم قبل صحبة الكاتب السيد أحمد الكردودي بما يحملهم على الكف والجلوس عند الحد، بعد أن أمر الكاتب المذكور بالبحث عن أحوالهم فيما تشوفوا له، وقد جرد الأمر الشريف لعامل الخلط والطليق برد البال للقصر.."[٦٣].

ورغم هذه الإجراءات عاودت القبيلة هجوماتها المعتادة على جيرانها، كمصمودة سنة ١٩٠١م وعلى بني مزجلدة ١٩١١م وعلى غزاوة ١٩١٩... وعاثت فيهم فسادا وحرقا وتقتيلا، يقول البكاري تعليقا على هذه الأحداث:"... وفي سنة ١٣١٩هـ هجم بنو مسارة على مصمودة وعاثوا فيها الفساد والقتل والنهب والسلب..."[٦٤]، ولم يكن ثوار القبيلة يكتفون بنهب أبناء القبائل بل تطاولوا إلى اختطاف النصارى وطلب الفديات لإطلاق سراحهم، ومن بين هؤلاء رعايا إسبان اختطفوا من القصر الكبير سنة ١٩٠١، ورغم ما بذله المخزن في العرائش والقصر الكبير وأصيلا ووزان بقيادة القائد الخلخالي لإطلاق سراحهم إلا أنهم فشلوا، وبدأوا ينتظرون حملة مخزنية لإطلاق سراحهم[٦٥]، ومع تكرار الأفعال والشكاوى إلى المخزن سينهض السلطان

المولى عبد العزيز بمجموعة من الإجراءات التي لم تحد عن ما كان يتخذه أسلافه في حق بني مسارة قبل توجيه أي حملة تأديبية في حقهم ومنها:

- إرسال رسائل التأنيب إلى زعماء وكبراء القبيلة، تحثهم على الانضباط والطاعة وإرجاع المنهوب إلى أهله والكف عن الناس، وتوقير الشرفاء.
- بعث مبعوثين ورجال تحكيم للفصل في الخصومات، والطلب من الشرفاء الوزانيين التوسط في الخصومات وفض النزاعات.
- إرسال القوات لحماية مدينة وزان والدفاع عنها.

يقول الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) في رسالة إلى محمد الطريس في شأن هذه الإجراءات:" فبمجرد ما بلغنا ذلك[٦٦] قبل ورود كتابك كتبنا لبني مستارة بما لا مزيد عليه من اللوم والتوبيخ على ذلك، وأمرناهم برد جميع المنهوب بتمامه، وحذرناهم من العود لمثله، والرضوخ للسكينة والهدنة وتجديد عقد الصلح والفصال مع أهل وزان. وكتبنا لعاملهم بإلزامهم تعجيل التنفيذ وأمرنا الخديم عبد المالك السعيد بتكليف خليفته الذي بوزان بالاجتماع مع أعيانهم ومع كبير الزاوية سيدي محمد بن المكي وأخذ الحق منهم لمن ذكر. وكتبنا للسيد العربي الوزاني بأن يحضر هو وأخوه السيد محمد معهم على ذلك بقصد الفصال ووجهنا من حضرتنا الشريفة من يقف على التنفيذ، وتحقيق الواقع في القضية من أصلها ومعرفة السبب في منشئها، كما وجهنا قائد رحى ومعه عدد من العسكر السعيد للمكوث بوزان ورد البال إليها، والدفاع عن أهلها وصيانتها ممن يريد الإضرار بها، وأمرنا بمزيد التيقظ والقيام كما ينبغي في الحراسة"[٦٧].

تبين رسائل المولى عبد العزيز أن مسؤولية كل ما كان يقع من فوضى واضطراب في منطقة وزان، كان ينسب إلى بني مسارة وحدها، بل إن جزء منه كان يتحمله شرفاء وزان أيضًا، والذين كانوا يهرعون إلى السلطان صارخين بأن بني مسارة تعتدي عليهم، فشرفاء الوقت في وزان لم يكونوا كسابقيهم، ينشرون السلم ويصلحون بين الناس، وما زاد من تعقيد الأمور، هو أن الشرفاء الوزانيين كانوا يلطخون سمعتهم باعتبارهم وسطاء نزيهين عندما كانوا يلجؤون إلى الأخذ بالثأر المستمر وانتقلوا من فئة مسالمة إلى فئة غير مسالمة[٦٨]، كما كانوا منقسمين على فرقتين متصارعتين، وأصبحوا طرفا في الصراع بسبب الخصومات والنزاعات الكثيرة التي كانت تنشأ فيما بينهم، حول المناصب والمكاسب والنفوذ، وجر العناصر الفاسدة في القبائل المجاورة إلى صفوفهم، وهذا ما كان يساهم في إشاعة الفوضى والاضطراب، ويسمح لبني مسارة أن تسرح وتمرح في ميدان المنطقة بلا حسيب أو رقيب، ويقوض جهود المخزن في تهدئة الأوضاع واستقرار البلاد. يقول الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) في نفس الرسالة السابقة: "... والغالب على الظن أن هذا الحادث لم يخل عن سبب، والذي يظهر هو أن السيد محمد بن عبد السلام المذكور يتسبب في موجبات ذلك، ويسعى في نقض أحكام الفصال والصلح المتقدمين، ويترامى على الناس ويدخل لوكلاء المخزن كنائب العامل وكبير الزاوية في أحكامهما، وينقض ويسرح من سجناه، ويسجن من يرضاه، ويجمع اللف في صورة الأصحاب، وكلهم من أهل الجبال الذين أحوالهم غير مرضية، ولا يسعون إلا في الفتنة توصلا لأغراضهم الفاسدة"[٦٩].

لكل هذه الأسباب، ومع تكرار الأفعال والشكاوى إلى المخزن، جرد المولى عبد العزيز حملة تأديبية قوية ضد بني مسارة سنة ١٩٠٢م بقيادة قائده مولاي عبد السلام الأمراني الذي نزل بجيوشه بأقصى جنوب بني مسارة السفلى في موقع سيدي بودومة، ومن مهامها الرئيسية: "جلب ضرائب المنطقة وحماية مدينة وزان المهددة دائمًا بهجومات جبالة رغم تأثير وقوة شرفاء وزان"[٧٠]، وقد حاول القائد الأمراني أن يمارس هيبة المخزن على القبيلة، وقاد حركة قوية وفعل مع أفرادها ما كان يفعله القادة الآخرون، حيث أنه حين وصل للقبيلة عمد إلى تطويقها من الشمال والجنوب، ونزلت جيوشه في البداية بسيدي بودومة أسفل القبيلة[٧١]، ونزلت المحلة لاحقًا بأعلى القبيلة لمحاصرتها ومعاقبتها وتأديبها. يقول السلطان المولى عبد العزيز في رسالة جوابية إلى قائده الأمراني، ونجده فيها مبتهجا ومغتبطا بعد قمع القبيلة بشدة ومعاملتهم بالغلظة:" وبعد، وصل كتابك بما فتح الله به من الظفر بفساد جبالة بني مسارة، وهم بنو يمل وبنو قيس وقضاء الغرض فيهم..."[٧٢].

إن هذه الرسالة نموذج حي تبرز بصفة خاصة درجة الفوضى وانحلال الأمور ببني مسارة، وتبين من جهة أخرى الهجمة الشرسة للمخزن على القبيلة، وتعود أسباب هذه القسوة في نظرنا إلى كون سلطة المخزن في ذلك الوقت كانت قد عرفت تدهورا خطيرا في منطقة وزان، لذلك أراد السلطان من خلال هذه القسوة استرجاع نفوذه وهيبته المفقودة، عملا بنصيحة من مستشاريه الإنجليز الذين كانوا ينصحونه بإظهار القوة والحزم إزاء أي تمرد يمس سلطته[٧٣]، ويؤكد أيضًا أن جهازه القمعي كان ما يزال قائما، وقد وظف بشكل جيد في تصفية بني مسارة حيث كانت له صولات وجولات بترابها، وقد ظلت جيوش السلطان جاثمة على القبيلة، تفرض التغريمات الثقيلة وتلقي القبض على العتاة، لاستئصال شأفتهم وإرعابهم، وهذا ما يؤكده جواب السلطان على رسالة لقائده الأمراني:" وعلمنا ما عزمت عليه من الأخذ في استئصال الباقين كما بينته ..وإزعاجهم لذلك وما أخبر به كبير الزاوية عندهم السيد محمد الطاهر من بلوغ العقوبة فيهم ...وتشوف باقيهم للفرار من البلاد لما خامرهم من الرعب..."، هذا وقد أرغم القائد المخزني القبيلة على أداء الضرائب، وكل ما وظف عليهم، يقول المولى عبد العزيز أيضًا في نفس الرسالة: "ونأمرك أن تجد في مطالبتهم بأداء الموظف عليهم وإزعاجهم لذلك". وقد كان غرض السلطان من ذلك هو التأديب والردع والزجر."... ثم ما اقتضته المصلحة بعد تنضيض الموظف يكون الإقدام عليه إذ التربية والزجر لذوي الجرائم مطلوب والسلام"[٧٤].

أما المولى عبد العزيز فقد برر هذه القسوة والعنف المبالغ فيه اتجاه أفراد القبيلة، وما بدر منهم بقوله:"...وما حل بهم كله بسبب ما اقترفوه... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وقد صادف فيهم البلاء محله..."[٧٥]، وذكر البكاري أن القائد المخزني قطع سبعين رأسا من أفراد القبيلة[٧٦]، وللخروج من هذه المأساة التجأ المساريون إلى طلب العفو من المخزن، بوساطة شيخ زاوية مولاي عمران السيد محمد الطاهر الذي أثمرت وساطته بإعطاء الأمان، وتخفيف القبضة العسكرية عليهم، يقول السلطان في هذا الشأن:".. وما أخبرك به كبير الزاوية عندهم السيد محمد الطاهر من بلوغ العقوبة فيهم خذها وتشوف باقيهم للفرار من البلاد لما خامرهم من الرعب، وما أجبته به من الأمان عليهم ورفعت العسكر عنهم ليعمروا بلادهم"[٧٧]، ويمكن تفسير شدة المخزن ومبالغته في العقاب إضافة إلى ما سبق هو محاولة السلطان ردع من كان على شاكلة بني مسارة من القبائل الأخرى بإدخال الرعب في قلوبها وتذكيرها بالمصير الذي سيؤول إليه كل من تسول له نفسه العصيان والتمرد على الأعتاب الشريفة، كما أن أوضاع البلاد الداخلية والخارجية وما كانت تعانيه من ضغوطات أجنبية وثورات واستفحال للفوضى والنهب، فرضت على المخزن إبداء الحزم والضبط[٧٨]، وهذا ما وقع لبني مسارة. ولحسم مادة فساد بني مسارة قام السلطان المولى عبد العزيز بتعيين قادة جدد على القبيلة، حيث أعيد القائد الدريدي البوصروري في ولاية جديدة على بني مسارة السفلى، وعين القائد المخزني عبد السلام الأمراني على بني مسارة العليا[٧٩]، وهذا ما جعلنا نتساءل، ألم يجد السلطان قائدا مناسبا يعينه على القبيلة غير قائده العسكري؟ أم أن الأمر خطير كان يستدعي جلوس قائد قوي ذي ثقة وحزم بها؟ وهذا أمر يؤكد بجلاء، انتباه السلطان المولى عبد العزيز إلى قبيلة بني مسارة وتخوفه مما قد ينجم عن عدم التحكم والسيطرة عليها من أخطار، سيما وأنه كان يتوجس خيفة من رجوع القبيلة إلى شغبها المعهود، لأنها كانت قد ألفت الفوضى مباشرة بعد عودة جيوش السلطان، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الخطر الذي شكلته القبيلة في المنطقة، وعلى رفضها للسلطة الزمنية للمخزن من خلال قتل قواده وممثليه، وقد ساهم تعيين الأمراني قائدًا على القبيلة في تقوية سلطة المخزن بها بواسطة ضغط ضريبي مجحف، وبتعسفات خطيرة أهمها، القتل والإعدام والتغريم.

بقيت حركة الأمراني جاثمة على القبيلة طيلة سنتي ١٩٠٢و ١٩٠٣م، ولم ترحل إلا بعد اندلاع تمرد بوحمارة واشتداد أمره، يقول عبد الرحمان ابن زيدان في هذا الصدد: "ولما اتصل الخبر بفاس (هزيمة بوحمارة بعين القداح من بلاد الهبارجة) فرح الناس واستبشروا وظنوا أن الأمر قد تم، فأصدرت الأوامر لمولاي عبد السلام

الأمراني الذي كان نازلا بجيش كثيف ببني مسارة بالإتيان، بما معه من الجيوش والتخييم بها مع مولاي الكبير بأوطى بوعياد"[٨٠]، عند رحيل الأمراني عن بني مسارة أخذ معه عدد لا يستهان به من شبانها، وهنا نجد أنفسنا في مواجهة سؤال آخر، لماذا أخذ الأمراني معه هؤلاء الرجال لما غادر القبيلة؟ هل أخذهم كرهائن ضمانة لعدم تمرد القبيلة مرة أخرى؟ أم أنه أخذهم كسند ودعم لمعاونته في حربه ضد "بوحمارة"؟ إن الجواب عن هذين السؤالين صعب لغياب المصادر، لكن القرائن المحتملة تجيب عن السؤالين معا. فيما يخص الرهائن، فإن ما قام به الأمراني يمكن قبوله من وجهة نظر عسكرية، إذ لم يكن المخزن يطمئن لتصرفات بني مسارة التي عادة ما كانت تثور مباشرة بعد كل حملة مخزنية، فما بالك إذا انضمت إلى الثائر "بوحمارة" الذي راسلها وطلب دعمها والانضمام إليه، فالرهائن هنا وسيلة فعالة لردعها عن أي تصرف طائش أو فعل معادي للقبيلة ضد المخزن، كما يمكن استغلال هؤلاء الرهائن في العمليات الحربية لمواجهة بوحمارة والقبض عليه، وهذا ما يؤكده البكاري بقوله:" عندما أعطى الأمراني الأمان للقبيلة المسارية فرض عليها الخدمة العسكرية جبرا وأخذ منهم الأعيان والفقهاء والطلبة والعامة، وسار بهم إلى غياثة مع الجيش المخزني لمحاربة جيش "بوحمارة" الثائر هناك"[٨١]، وقد أصبح تاريخ ولاية الأمراني على بني مسارة تاريخًا مشهودًا، يؤرخ به السكان لمواليدهم ووفياتهم وأحداثهم البارزة باعتباره حدثًا تاريخيًا بارزًا، وكيف لا يكون كذلك؟ وقد أعدم فيه سبعون رجلا من أفراد القبيلة، ومارس فيه غلظة شديدة في المغارم والجبايات، إضافة إلى تغريب الرجال الرهائن والدفع بهم لمواجهة الثائر "بوحمارة"، ويعرف عامه هذا محليًا بـ"عام اليمراني"[٨٢].

قبل رحيل القائد الأمراني عن بني مسارة سنة ١٩٠٣م، سيثبت بأمر من السلطان المولى عبد العزيز القائد الدريدي البوصروري في قيادته ببني مسارة السفلى سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م، وعين على بني مسارة العليا القائد محمد بن محمد القيسي القطاري، لكن القبيلة ثارت من جديد، فخلعوا بن محمد القيسي وهجموا عليه في داره بعين أقطار ونهبوها، فخرج هاربا إلى المحلة[٨٣]، لكن بعض الأفراد من قرية اعسارة تبعوه ولحقوا به بقبيلة غزاوة فقتلوه وحرقوا جثته[٨٤]، وولي مكانه القائد المرابط اللاوي بأمر من الخليفة الأمراني وذلك لسوء سيرة هذا القائد معهم. أما القائد البوصروري فجددت القبيلة ثورتها عليه، إذ سارع الناس إلى نهب داره وعائلته وطرده من القبيلة حيث فر إلى مدينة الجديدة[٨٥]، فكان القائد بدله هو القائد بوشتى بن الهاشمي الحجري، وبعد بضعة أشهر عاد البوصروري من جديد وبقي في حكمه سنتين فقط؛ عندما تمردت القبيلة عليه وخلعته هو والقائد المرابط اللاوي وبقيت تحكم نفسها بنفسها حتى مجيء السلطان المولى عبد الحفيظ ١٩٠٨ـ١٩١٢م.

٤/٣-جهود المولى عبد الحفيظ للقضاء على التمرد الرابع لقبيلة بني مسارة (١٩٠٨ـ١٩١٢م)

بعد القبض على الثائر بوحمارة ببني مسارة، أعاد المولى عبد الحفيظ القائد البوصروري إلى حكمه من جديد، بعد أن أضاف إلى قيادته كل من فرقتي بني يمل وبوقرة[٨٦]، لكن طيش القائد البوصروري وقسوته ورغبته الملحة في جمع الضرائب والإصرار على الانتقام من خصومه سيؤلب الناس عليه من جديد، فبعد أن استتب له الأمر بدأ يدبر مؤامرة الانتقام من السكان خاصة من خصومه ومنافسيه السياسيين، وعلى رأسهم السيد سلام الكابوس من دوار القيطون[٨٧]، إلا أنهم تفطنوا لألاعيبه ودبروا خطة للقضاء عليه قادها خصمه اللدود سلام الكابوس الذي جعلهم يثورون عليه ويقتلونه في داره التي أحرقت، وأحرقت معها كل ممتلكاته بدواره في المناصرة سنة ١٩١٠م[٨٨].

وقد عين السلطان المولى عبد الحفيظ بدله السيد أبو الشتاء بن الهاشمي من فرقة حجر بني عيش قائدا على القبيلة، لكنه لم يستطع إخضاع السكان لإرادة المخزن، فتخلصوا منه سنة ١٩١٢م بتهمة التخابر مع الفرنسيين، وقد مر المسكين بمحنة شديدة حيث قبض عليه في سوق السبت كرمال بالقبيلة السفلى، وسلم إلى فرقته حجر بني يعيش ليقتلوه، فرفضوا قتله وسلموه إلى فرقة بني كلة عند مشرع وادي الكبير قرب صخرة كرمال، إلا أنهم ترددوا في الأمر وأطلقوا سراحه، فتدخل عنصران من فرقة أولاد كنون وقتلوه، وهما: ولد

حميدو بن كبير وبوشتى بن رقيوش[٨٩]، وعلى ما يبدو فقد مات المسكين ظلما وعدوانا[٩٠]، أما في بني مسارة العليا فعين المولى عبد الحفيظ القائد الطيب بن محمد القيسي الذي انتفضوا عليه، فاضطر إلى الفرار بنفسه إلى قبيلة عوف[٩١] في مكان قرب مدينة جرف الملحة الحالية، ولازالت ذريته هناك إلى اليوم يعرفون بـ(القواس) نسبة إلى القيسي. لقد فشلت مجهودات المخزن إذن في ردع بني مسارة، وتثبيت الاستقرار بمنطقة وزان، فلم تنفع الحملات والفرق العسكرية التي أرسلها لتأديب القبيلة، إذ يبدو من خلال ما جرى أن المخزن لم تكن لديه لا الموارد العسكرية ولا القوة البشرية لتحقيق أي شيء، ماعدا التأثير العابر عند حضوره، لأن ممارسات القبيلة كانت شبيهة بالعصابات تسرق وتسبي... وتستغل ضعف المخزن وهشاشته، ومن هنا نتصور البلبلة التي استحوذت على عقول المساريين أواخر القرن التاسع عشر ومطلع العشرين، فسلطة الدولة منحلة، والعنف متبادل بين القبائل، والسلطة الرمزية لشرفاء وزان منحلة.

على الرغم من أن المخزن كان يعاقب القبيلة من الفينة لأخرى، إلا أن اللافت للانتباه في العلاقة التصادمية بين قبيلة بني مسارة والمخزن هو هذه المفارقة، ففي الوقت الذي كانت العلاقة بين الطرفين مطبوعة بالعداء والعنف والإكراه، لأن المخزن كان يلتجئ لإخضاع المساريين بالقوة وسحقهم بالضرائب والغرامات المجحفة، وتجريد الحملات القمعية المتتالية ضدهم لاستخلاصها، واستعمل في حقهم الأوصاف الجارحة والألفاظ النابية والقذف الجارح باعتبارهم متمردين شقوا عصا الطاعة، أما المساريون فكانوا يجنحون إلى التمرد والعصيان ويرفضون أداء الضرائب، ولا يعترفون بالسلطة الزمنية للمخزن من خلال طرد قواده وممثليه وتنصيب قوادا آخرين بدلهم... إلا أنه لا أحد من المساريين كان يشكك في شرعية السلطان أو يطعن في سلطته الروحية، بل أن أغلبية الناس كانت تشعر بأن لا حياة بلا سلطان، فلا تؤدى صلاة الجمعة إلا باسمه، ولازال إلى اليوم يرفع في المساجد الدعاء التالي: " الله ينصر السلطان ويهدن الأوطان" وحين هددت البلاد بالغزو الأجنبي، شاركت بني مسارة في المجهود الحربي، وزودت المخزن بالرجال والمؤونة، كالمشاركة في حرب تطوان مع الإسبان ١٨٥٩-١٨٦٠، بالإضافة إلى مساندة السلطان في القبض على معارضيه، خاصة الثائر "بوحمارة" كما سنرى، فسوط المخزن إذن حسب الأغلبية الساحقة من الناس كان موجها فقط للعصاة ورؤوس الفتنة، ومن هنا نندهش لماذا لم تستجب القبيلة لدعاوى بوحمارة الثائر على المخزن؟ ألم تكن ثورة "بوحمارة" كما كان يدعي بسبب الظلم والتعسف وفساد المخزن؟ لماذا التزمت القبيلة الحياد ولم تستغل هذه الثورة للانتقام من المخزن؟ إن حاجة المخزن في بعض الأحيان، كانت تفرض عليه اللجوء إلى بني مسارة وطلب مساندتها، فبعد اشتداد أزمة المخزن إثر اندلاع ثورة "بوحمارة" وخوفا من انضمام القبيلة إليه، التجأ المخزن إلى المساريين وطالبهم برصده والقبض عليه، يقول المولى عبد العزيز في رسالة وجهها للقبيلة في شأن تمرد بوحمارة:"...وعليه فنأمركم أن تجعلوا أمره من الأمر المهم الأكيد وتنصبوا له الأرصاد بجهاتكم وعدم إفلاته وتعملوا جهدكم أن يجعل الله مزية التمكين منه على أيديكم ..."[٩٢].

إن عدم خوض بني مسارة في ثورة "بوحمارة"، لدليل قاطع على عدم ميل المساريين إلى الانشقاق، ذلك أن "بوحمارة" دعي لا يمثل الشرعية، وأن سلطة السلطان شرعية لا يمكن البتة الخروج عليها، بل إن القبيلة مالت إلى جانب المخزن" الشرعية" أكثر لما ساهمت في القبض على "بوحمارة" وتسليمه للمخزن عندما حل الثائر بترابها هاربا من القوات المخزنية المطاردة له، وهناك مسألة أخرى لا تقل أهمية عن قضية بوحمارة، وهي علاقة المخزن بالزاوية الوزانية، فالممارسات العنيفة لبني مسارة اتجاه الزاوية الوزانية وشرفائها، لم يكن ينظر إليها المخزن دائمًا بعين الريبة والظلم، بل كان يُنظر إليها -لكن بشكل خفي- كشيء إيجابي، لأنها كانت تقمع شرفاء وزان الطامعين في السلطة، ومعاقبتهم على تحالفهم مع الأجنبي، ففيما يخص مسألة السلطة، فالزاوية الوزانية ظهرت في نفس الوقت مع ظهور حركة العلويين، ورغم طابع الصداقة والعلاقات المتواشجة التي كانت سائدة على الدوام بين السلاطين العلويين والزاوية

الوزانية، إلا أن العلاقة كانت تتوتر في بعض الأحيان، لأن المخزن لم يكن يرقه أن تأخذ الزاوية الوزانية أكثر مما تستحق من النفوذ، فصار يتخوف من "أن تنحرف الزاوية عن خطها الديني وتتجه نحو الأمور السياسية"[٩٣]، لهذا السبب كان السلاطين ينظرون إلى الوزانيين بعين الريبة، خاصة المولى إسماعيل الذي اتخذ عدة تدابير للحد من نفوذها، والقبض على اتباعها، ولم تعد المياه إلى مجاريها إلا عندما أركب الشيخ مولاي التهامي بيده السلطان على جواده، ويقال إن مولاي إسماعيل صاح حينئذ " منذ هذه اللحظة قد أصبحت فعلاً سلطانًا حقيقيًا"[٩٤].

كما كانت تتداول وسط العامة بالمنطقة مقولة للشرفاء الوزانيين لا زالت إلى اليوم، ورصدها الأجانب "مِنًا ما يكُنشِي وبِلا بِنا ما يَمكِنشِي" أي أن السلطان لا يكون من الوزانيين، وأن السلطان لا يعترف به عاهلا ولا تستقيم الأمور له إلا بعد مباركتهم (سادة وزان)[٩٥]، ولهذا عندما كانت بني مسارة تهجم على الوزانيين، كانت تخدم مصالح المخزن من حيث لا تدري، في قمع معارضيه وكبح جماح أي منافس محتمل لسلطته. يقول موليراس في هذا الشأن: "ولهذا السبب عندما كانت تخرب المدينة، وتنهب من طرف جيرانها المساريين، فإن السلطان "لا يأسف في العمق، على التنكيل الذي يتعرض له أناس يطمعون في عرشه، وهو لا يسعى إلى مناصرتهم، بل يرغب في أن تتم إبادة العائلة التي تجرأت على التحالف مع الأجنبي والطمع في السلطة"[٩٦].

خَاتِمَةٌ

إن مثل هذه المواقف لدليل على أن المساريين كانوا يحترمون سلطة السلطان الذي يكنون له كل التقدير والاحترام. لكن أحيانا يقع التجاوز من جهة المخزن نفسه، فينقلب هذا الحب والتقدير إلى غضب وتمرد. لقد كان الناس في حيرة من أمرهم، فكيف كان بإمكانهم أن يفهموا المطالبة بالمال دون مراعاة لظروف عيشهم ولأحوالهم المعيشية الصعبة، والتي كانت تزداد صعوبة مع سنوات الجفاف والمجاعات؟ إن عدم قبول إعفاء سكان القبيلة أو تأجيل دفع أعشارهم له وعدم معاقبة قائد فاسد جائر بعد تشكي الناس منه، ولا يلقى أي ردع أو إقالة أو عقاب من السلطان، هي أسباب كانت تدفع القبيلة إلى التمرد والعصيان، كما أنه في حالة تعرض القبيلة لاعتداءات الجيران ومن شرفاء وزان أنفسهم... دون أن تحظى بأي تدخل من المخزن لرد العدوان عنها وتوفير الحماية لها، فهل ستقف مكتوفة الأيدي ولا ترد الصاع صاعين؟ بالفعل إنه لأمر مقلق ومريب بالنسبة لأي قبيلة، كان ينجم عنه تزايد حدة الغضب والشعور بالألم، وبخيبة الأمل من المخزن والسلطان، الذي لم يكن يمارس سلطاته في استتباب الأمن ورعاية مصالح الناس الدنيوية، والحفاظ على السلم المجتمعي. وعندما تقوم القبيلة بالرد على هذه الإساءات، وترفض دفع ما بذمتها من ضرائب، أو تسقط قائدا مستبدا مشتطا في سلطته، تأتي جيوش السلطان لتقتل وتغرم، فهل يصح بعد هذا القول إن بني مسارة كانت تعشق العصيان دائمًا، ولا تخشى سلطة السلطان، وأنها كانت مجبولة على السيبة بالفطرة، كما تبين الكتابات الأجنبية.

الإحالات المرجعية:

(١) عبد السلام البكاري، **الإشارة والبشارة في تاريخ وأعلام بني مسارة**، الطبعة الأولى ١٩٨٤ والثانية ٢٠٠٧، ص: ٨٣.

(٢) قبيلة عربية حاضرتها اليوم جماعة حد كورت.

(٣) قبيلة عربية حاضرتها اليوم مدينة سوق الأربعاء الغرب.

(٤) أحمد المسياح، **قبيلة بني مسارة: علاقتها بالمخزن ومقاومتها للاحتلال الفرنسي خلال القرنين ١٩ و٢٠**، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، إشراف الأستاذ علال الخديمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، السنة الجامعية ١٩٩١-١٩٩٢، ص: ١٥.

(٥) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص١٠١.

(٦) إبراهيم بل العافية، **الجماعة الترابية سيدي رضوان بين الماضي والحاضر، التاريخ ـ الإنسان ـ المجال**، الجزء الأول، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص: ٧١.

(٧) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٤٧.

(٨) محمد عمراني، "الشرفاء الوزانيون والقبائل المجاورة لمدينة وزان أواخر القرن التاسع عشر"، **ندوة علاقة المدن بالأرياف على الطرف الجنوبي لبلاد جبالة، لمجموعة البحث المتعددة الاختصاص حول جبالة**، تأليف مجموعة من الأساتذة بمساعدة مؤسسة كونراد أديناورو، ١٩٩٥، ص: ٣٩.

(٩) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٤١.

(١٠) محمد داوود، **تاريخ تطوان**، المجلد الرابع، المطبعة المهدية، ١٩٦٤، ص١١٦.

(١١) رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى بوسلهام بن علي أزطوط في ٢١ رجب الفرد الحرام عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، خ. س. ر، ك ١٧رقم ٢٧/١٢.

(١٢) رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى بوسلهام بن علي أزطوط في ٧ صفر الخير عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٣م، خ. س. ر، ك١٧ رقم ٣/٢٣.

(١٣) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ١٠١.

(١٤) البكاري عبد السلام، **الوجيز في تاريخ وأعلام مسارة وعلاقة وزان وما والاها من قبائل جبالة، دراسة وثائقية تحليلية**، الطبعة الأولى، نونبر ١٩٩٧، ص:

(15) De La Martinière (Henrys Poisson) et La Croix (Napoléon). Documents pour servir à l'étude du nord- réunis et rédigés par ordre de Mr Gaules Gambon, gouverneur général de l'Algérie, service des affaires indigènes, p.464 .

(16) Alfred Le Châtelier. **Notes sur les villes et tribus du Maroc en 1890 – 1902, Sahel – Gharb – Haouz Fès – Sais – Haouz Méknès – Djebala, Angera,** imprimerie A. Bordin et C(ie), 1902, p.22.

(١٧) المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها غير المتناهية**، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص: ١٨٥.

(١٨) ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، المطبعة الوطنية، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، الرباط، ١٩٩٠، ص: ٤٠٣.

(١٩) عمراني، م، س، ص: ٤١.

(٢٠) عمراني، م، س، ص: ٤١.

(٢١) رسالة من الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) إلى شريف وزان السيد العربي بن الحاج عبد السلام، بتاريخ ٢ محرم عام ١٣١١/ ١٨٩٤م، م. و. م، سجل ٦٢/ ج٢/ ٢٧.

(٢٢) رسالة من الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) إلى النائب الحاج محمد الطريس بتاريخ ٢٥ شوال عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م. خ، ع، م، ت، الأرشيف التاريخي، مح٣٦/٢٥. (انظر الملحق ١٣)

(٢٣) رسالة من الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) إلى محمد الطريس بتاريخ ٥ صفر الخير عام ١٣١٧/١٨٩٩، خ. ع. م، ت، الأرشيف التاريخي، س٥٠٣٣، مح ١٨/٢٦.

(٢٤) الضعيف الرباطي، **تاريخ الدولة العلوية السعيدة**، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص: ٣٥٣.

(٢٥) عمراني، م، س، ص: ٣٦.

(٢٦) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٤١.

(٢٧) مصطفى الشابي، **النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر**، ترجمة أحمد التوفيق، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٥، ص: ٣٨.

(٢٨) البكاري، **الوجيز**، م، س، ص: ٦٤.

(٢٩) جرمان عياش، **دراسات في تاريخ المغرب**، م، س، صص: ٢٠١-٤٠١.

(٣٠) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٤٦.

(٣١) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٣٩.

(٣٢) دامت الفوضى سبع سنوات وبني مستارة بدون قائد أو ممثل مخزني، منذ أن طرد القيسي ١٨٧٣ إلى ١٨٨٠م، حين جاءت حملة المحابس الغرباوي لتأديبها وإعادة سلطة المخزن إليها من جديد. بل العافية، **الجماعة الترابية**، م، س، ج١، ص: ٧١.

(٣٣) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٤٧.

(٣٤) بل العافية، **الجماعة الترابية**، م، س، ج١، ص: ٧٢.

(٣٥) إبراهيم بل العافية، **الشرفاء الكنونيون أهل الزواقين بقبيلة بني مستارة ـ مساهمة في التاريخ الاجتماعي المغربي ـ** مطبعة المعرف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص: ٧٢.

(٣٦) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٣٩.

(٣٧) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ١٠٩.

(٣٨) رسالة من القائم بأعمال مفوضية فرنسا إلى وزير الخارجية الفرنسي السيد دوفريسيني، ٣١ يوليوز ١٨٨٠، بنمنصور، مجلة الوثائق، م، س، ص: ١٠٧.

(٣٩) نفسه، ص: ١٠٨.

(٤٠) مبارك بن سحلن، هو تحريف لاسم أبو بكر الحباسي.

(٤١) رسالة من القائم بأعمال مفوضية فرنسا إلى وزير الخارجية الفرنسي السيد دوفريسيني، ٣١ يوليوز ١٨٨٠، بنمنصور، م، س، ص: ١١٥.

(٤٢) رسالة من القائم بأعمال مفوضية فرنسا إلى وزير الخارجية الفرنسي السيد دوفريسيني، ٣١ يوليوز ١٨٨٠، بنمنصور، م، س، ص: ١١٥.

(٤٣) ابن زيدان، م، س، ج٥، ط٢، ص: ٤٠٣.

(٤٤) H. P, de la Martinière et N. la Croix. op.cit, p.464.

(٤٥) البكاري، **الإشارة**، من س، ص: ٨٥.
(٤٦) نفسه، ص: ٣٩.
(٤٧) عمراني، م، س، ص: ٤٠.
(٤٨) ابن زيدان، م، س، ج ٥، ط٢، ١٩٩٠، ص: ٤٠٣.
(49) H . P. de la Martinière et N. la Croix. op.cit, p.464.
(50) Arnaud (Louis), op.cit, p.125.
(٥١) المشرفي، **الحلل البهية**، م، س، ص: ١٨٥.
(52) H . P. de la Martinière et N. la Croix. op.cit, p.464.
(٥٣) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٦٩.
(٥٤) نفسه، ص: ٦٩.
(٥٥) المشرفي، **الحلل البهية**، م، س، ص: ١٨٥.
(56) H . P, de la Martinière et N, la Croix. op.cit. p464.
(57) Michaux - Bélaire (E). **Villes et tribus du Maroc**, rabat et sa région, tome IV. Le Gharb (les Djebala). Editions Ernest Leroux, paris, 1918, op.cit. p.284.
(٥٨) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٤١.
(٥٩) نفسه، ص: ٤٠.
(٦٠) عمراني، م، س، ص: ٤٠.
(٦١) رسالة من الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) إلى شريف وزان السيد العربي بن الحاج عبد السلام، بتاريخ ٢ محرم عام ١٣١١/ ١٨٩٤م. خ. ع. م. ت، الأرشيف التاريخي، سجل ٦٢/ مح٢٧/٢.
(٦٢) جاء في رسالة من المولى عبد العزيز إلى الحاج محمد الطريس بتاريخ ٧ ربيع الأنور عام ١٣١٣/١٨٩٦م، خ. ع. م. ت، الأرشيف التاريخي، سجل١٩٥٣مح٢٢/٤٤.
(٦٣) رسالة من الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) إلى محمد الطريس بتاريخ ٥ صفر الخير عام 1899/١٣١٧م، خ. ع. ت، الأرشيف التاريخي، س٥.٣٣، مح ١٨/٢٦.
(٦٤) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط١، ص: ٤٢.
(65) La République nouvelle. A2. N°440, vendredi 27 décembre 1901, p.2.
(٦٦) يتحدث الوزير باحماد عن قضية سرقة متاع أصحاب الشرفاء في طريق الشاون، وعن سرقة بني مسارة لعزيب الشرفاء المعروف بالمرابيح قرب مدينة جرف الملحة الحالية.
(٦٧) رسالة من الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) إلى الحاج محمد الطريس بتاريخ ٧ ربيع الأنور عام ١٣١٣/١٨٩٦م، خ. ع. ت، الأرشيف التاريخي، سجل١٩٥٣مح ٢٢/٤٤.
(٦٨) عمراني، م، س، ص: ٣٨.
(٦٩) رسالة من الوزير أحمد بن موسى البخاري (باحماد) إلى الحاج محمد الطريس بتاريخ ٧ ربيع الأنور عام ١٣١٣هـ/١٨٩٦م.، خ. ع. ت، الأرشيف التاريخي، س١٩٥٣مح ٢٢/٤٤.
(70) Arnaud (Louis), **Au temps des Mehallas: ou le Maroc de 1860 à 1912**, 1952, éditions atlantiques, Casablanca, op.cit, p.153.
(٧١) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٥٥.
(٧٢) عبد الرحمان ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، المطبعة الوطنية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الرباط، 1930، ص: ٤٠٣.
(٧٣) سعيد عاهد، **الفتان، محكيات من سيرة الروكي بوحمارة لصحفيين وكتاب غربيين معاصرين له**، منشورات جريدة الاتحاد الاشتراكي، الطبعة الأولى ٢٠١٣، ص: ٨٦.
(٧٤) ابن زيدان، م، س، ج١، ص: ٤٠٣.
(٧٥) ابن زيدان، م، س، ج١، ص: ٤٠٣.
(٧٦) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط١، ص: ٥٤.
(٧٧) ابن زيدان، م، س، ج١، ص: ٤٠٣.
(٧٨) مصطفى فنيتر، "المخزن وقواد البوادي"، **ندوة البوادي المغربية عبر التاريخ**، تنسيق إبراهيم بوطالب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٧٧، ١٩٩٩، ص: ٨٣.
(٧٩) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٦٢.
(٨٠) ابن زيدان، م، س، ج١، ص: ٤٠٣.
(٨١) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٦٢.
(٨٢) شهادات شفوية عديدة من بينها شهادة الخمار ولد منانة العمراوي.
(83) GIL BLAS. A24.N°8343, jeudi 18 septembre 1902, pp.2 -3.
(٨٤) البكاري، **الإشارة**، م، س، ص: ٤٨.
(85) GIL BLAS, op.cit, pp.2 -3.
(٨٦) المسياح، م، س، ص: ١٩.
(٨٧) بل العافية، **الشرفاء الكنونيون**، م، س، ص: ٩٧.
(٨٨) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٥٥.
(٨٩) بل العافية، **الشرفاء الكنونيون**، م، س، ص: ١١٢.
(٩٠) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٧٨.
(٩١) المسياح، م، س، ص: ١٩.
(٩٢) البكاري، **الإشارة**، م، س، ط٢، ص: ٥٢.
(٩٣) محمد العمراني، الزاوية الوزانية والمخزن العلوي من مرحلة التأسيس إلى أواخر القرن الثامن عشر، **مجلة المناهل**، الزوايا في المغرب، الجزء الأول، العددان ٨٠.٨١، فبراير ٢٠٠٧، ص: ١٣٥.
(٩٤) نفسه، م، س، ص: ١٣٤.
(٩٥) موليراس، م، س، ص: ٤١٢.
(٩٦) نفسه، ص: ٤٢٠.